تاريخ استقبال المقال:2017/04/10 تاريخ قبول نشر المقال:2018/05/13 تاريخ نشر المقال:2018/06/26

الشباب من الاغتراب إلى عدم الانتماء

Youth From Alienation to Non Belonging

د.رايس زواوي*

الملخص.

يُشكِّل الشباب القوة المنتجة للصراع النفسي/ الاجتماعي المتجلي في ظاهرتا الاغتراب وعدم الانتماء، حيث النظام الجديد للرأسمالية وما- بعد الرأسمالية لم يتردد في إنتاج إنسان مغترب طوال احتواءها لهذا الكائن، ظل هو كذلك متعوِد على بيئته المصطنعة مقابل تحقيق اكتفاء بيولوجي لا يُرقِّي من طبيعته الإنسانية و لا يُحسِّن من حالته للانتماء النفسي أولاً والاجتماعي ثانياً، فالإنسان المُستلب لا يشعر بأهميته ولا بوزنه في الحياة، بل يُعايِّش انفصام عن الطبيعة وعن الآخرين.

الكلمات المفتاحية.

الاغتراب وعدم الانتماء، الأزمة والهوية، اتخاذ القرارات، ممارسة دلالة الأمل، الشباب والنسق.

Abstract.

Youth constitutes the productive force of the psychological and social conflict. This is clearly seen in the process of belonging. So, new system of capitalism and post capitalism didn't hesitate to contain that youth who stayed attached to their artificial environment in return of a satisfaction from their human nature- youths don't improve their state of psychological and social belonging. Human beings don't know their importance in life. However, they live a schizophrenia from nature and others.

Key Words.

Non belonging and alienation, the crisis and identity, decision taking, exercising hope significance, youth and system.

* رايس زواوي، أستاذ محاضر. المخبر: مخبر الفكر الإسلامي.الجامعة جامعة الجيلالي ليابس- سيدي بلعباس. الجزائر
البريد الإلكتروني : Philo.devellop@gmail.com،
رقم الهاتف : 0556722146.
تاريخ أول إرسال للمقال : 16 جوان 2017
تاريخ تعديل و الملاجعة: 08 يناير 2018.

مقدمة.

لقد كشف الربيع العربي المزعوم عن أزمةٍ حادة في شبكة العلاقات الاجتماعية، كانت نتيجة التعامل بأسلوب أحادي ومنفرد لدى فئة الحكم، ما برّر أسلوباً إقصائياً للشباب، لهذا كله كان لاكتشاف عدم الانتماء بمثابة:« **ظاهرة نفسية تعبر عن حالة من حالات الحياد العاطفي بالنسبة** » (1) للشباب في نظر المجتمع الناتجة عن عدم الشعور بالألفة مع الآخر أو قد يكون نتيجة حب الذات (الأنانية) والفردية، فهو قد فقد القدرة على الاندماج والتفاعل الاجتماعي بشعوره لا إرادياً عن ملك حتى نفسه، فهو إذن مِلك غيره، حتى إرادته فهي ليست له، وبالتالي يتعذر وجود انقلاب في ظل غياب كل أملٍ بالتغيير وفي التغيير.

مشكلة الدراسة.

تبرز مشكلة الدراسة من وجود خلل على مستوى فعل الاندماج الاجتماعي لعنصر الشباب الموجود في أوروبا وهذا ليس استثناء، لاسيما وجوده داخل مسقط رأسه كنتاج عن فشل مشروع الإقصاء والتعدّي للجالية الشبابية في الخارج، ما يُبرّرُ أكثر نزوعه إلى التطرف والغلّو في الحكم بالسلب إلى حدِّ تكفير الأخر وحتى على دينه. الأمر الذي يساهم باستمرار في تفاقم الأوضاع الاجتماعية المسببة في هدم النظام الاجتماعي وأمنه النفسي، لذا تسعى دراستنا هذه إلى أشكلة الموضوع وأكثر محاولة سدِّ الثغرات بدراسة مستفيضة لمعنى الغلّو والتطرف والاغتراب بالوقوف على التقاطعات المصطلحية والمفهومية ذات الصلة به، كما تسعى دراستنا لتحديد موقف الإسلام والأنظمة المعتدلة منه، وتفعيل دور الاندماج في العملية المجتمعية.

أهداف الدراسة.

- تحديد مشكلات الاغتراب ومبررات اللجوء إلى التطرف .
- بيان الانعكاسات غير المرغوب فيها للاغتراب ومشكلات عدم الانتماء .
- إبراز الدور الاجتماعي للنهوض بالمسؤولية المجتمعية .

تساؤلات الدراسة.

ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هي مبررات اللجوء إلى التطرف ومشكلات عدم الانتماء.
- ما هي الانعكاسات السلبية لمعنى الاغتراب.
- ما هو دور الفرد في بناء المسؤولية المجتمعية.

أهمية الدراسة ومبرارتها. من خلال ما يلي:

1- علاقة موضوع الدراسة بواقع الشباب المغترب في العالم غير الإسلامي بالأخص، وفي مسقط رأسه عموماً واتصاله بالواقع المعاش، الأمر الذي استدعى معالجته لما يكتنفه من غموضٍ في ضوء التحاليل العلمية المعاشة من قبل المثقفين والمختصين والمحلِّلين لحصر تمظهرات هذه الظاهرة وأسبابها السلبية. لذا، راعت كل الاهتمام تربوياً واجتماعياً ونفسياً حتى لا تستفحل مداها.

2- جدّة الموضوع خلقت منه أن يكون موضوع الساعة وأصبح اليوم أكثر أهمية لأن الخطر محدق لكل الدول ولا يترك أخضرا ولا يابساً إلاّ أتاه. لذا، لزاماً مجابهة التطرف والغلّو والإرهاب بمعالجة مسبباته الاجتماعية بعيدا عن إلصاقه بالإسلام.

منهجية الدراسة.

تستند الدراسة على المنهج الوصفي بغرض جمع المعلومات والبيانات ومن تم تحليلها وفقا لمنهج تحليلي وتفسيرها بتحديد الرابط بينها.

مصطلحات الدراسة.

الشباب: هو العنصر الذي يُشكِّل الغالبية في المجتمع، وهو محور ارتكازها.

الاغتراب: وجودك بعيدا حتى توازنك الداخلي/ الخارجي يشكِّلُ معنى اللاوعي واللاحرية، فأنت منفصل عن وجودك وعن مجتمعك.

عدم الانتماء: هي نتاج عن فعل الاغتراب، ففي كل مرّةٍ يحاول فيها المرء المنزوع الوعي استعادة ما أُخِذ منه يقع ضحية الانفصال النفسي ومنه اللاإنتماء.

الدراسات السابقة.

لقد اعتمدنا في بحثنا على العديد من الدراسات المتوفرة في مجال الشباب من الاغتراب إلى عدم الانتماء، ويمكن أن نشير إلى دراسة محمّد سيد فهمي (2007) والتي كانت تحت عنوان: *العولمة والشباب من منظور اجتماعي* وضّح فيها انفلات الشباب من خلال برامج التنمية والجهود المبذولة لتكريس عنصر الشباب في التنمية؛ أما دراسة هشام محمود الأقداحي (2012) والتي كانت معنونة بـ: *قضايا الاغتراب في الفكر السياسي والاجتماعي*، أبان في دراسته عن مسألة في غاية الخطورة وهي الاستلاب (الاغتراب) من عدّة وجوه منها: الإيديولوجية، السياسية والطبقات الاجتماعية، أزمة تشظي الهوية من خلال طرح برامج متعلقة بشرود الشباب سواء السياسي أو الإيديولوجي وبعده عن راهنه المعاش؛ أما الدراسة الثالثة فهي لـ: أبو الحسن عبد الموجود إبراهيم (2006) في بحثٍ معنون بـ: *التنمية وحقوق الإنسان نظرة اجتماعية*، حيث أوضح فيها عنصر في غاية الأهمية وهي العلاقات الاجتماعية والمشاركة المجتمعية في ظلّ حضور وغياب الشباب؛ أما الدراسة الرابعة فهي لـ: الدكتورين كلثم جبر الكواري وصلاح سلطان المناعي (2013) في بحث موسوم بـ: رعاية الشباب في المجتمع العربي(أسس وتطبيقات)، حيث أبانا عن احتياجات الشباب وأسباب حدوث الانقلاب في الوطن العربي وانعكاسات الفكر الإيديولوجي البديل لدى الشباب.

1- أزمة الاندماج.

نُحاول أن نقف على أسباب التعثرات بالاندماج اجتماعيا خصوصاً ما تعلّق منها بموقف الجهات الرسمية لرعاية عنصر الشباب، ولأن عدم الانتماء يمثل موقف غير طبيعي وشاذ مادام النشاط الذي يؤسِّسُ عليه الشباب تطلعاته لم يبلغ بعد عتبة الشعور بالاندماج والمشاركة الفعلية في المجتمع والأكثر بالمواطنة، فإذا ما فهمنا هذه الأخيرة، أمكن لنا أن نقف على هذا الشعور الذي لم يصل إلى الممارسة، وبقي في حدود السلوكيات المعنوية، فينجم عن هذا الشعور اليأس من واقع المجتمع في الإصلاح، فيعتريه خوفٌ وقلق فيجعله مغترب حتى عن نفسه، فيصاحب الإحباط الشباب فيوقفهم عن

المُضي قُدُماً، فتخف إمكانية لأن يستعيد انتماءه وشعوره الفعلي بالمواطنة، فيبقى الشباب متعلق بالرجاء والأمل إلى حين..

تشهد الألفية الثالثة استثمار للأزمة التي عاشها الشباب في وطنه العربي على امتداد عقودٍ من الزمن، شكلّت المخاض الذي صار يُحرِّك دواعيه لإنتاج إنسان آخر، ما أنتج حقلاً سوسيو- ثقافي معرفي في علاقة هذا المخاض بدءاً من الاغتراب إلى عدم الانتماء في إنتاجٍ لمنظومة معرفية- اجتماعية هي نتاج الأزمة: « **فصفات ومميزات الشباب هي وحدها المتلائمة مع حاجات أمتنا المتحفزة للبعث والنهوض** »(2) لتحدِّد ثنائية الاغتراب وعدم الانتماء، علاقة سن الشباب بصفة الثقافة والوعي اللذان مثّلا هاجس المشكلات الشبابية في دول العالم العربي لشمال إفريقيا وتركيا خصوصاً والوطن العربي عموماً، وهو هاجس ظّل ينتابه نتيجة النظام الكلي الشمولي (Totalitaire).

بدايةً، حدوث الأزمة، كانت من خلال الترسبات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، فعلاقة الشباب بوجودهم الإنتمائي لم يتحقق يوماً، لأنّ الانقلاب والتغيُّر كانا في نظرهم غير راهني، وبالتالي، فرض هذا الراهن نسقاً معيناً إثر عملية التصدع النفسي/ الاجتماعي بدون أن يمتحن هذا الشباب قوة الانقلاب والتغيُّر الاجتماعي، فبدأت أصداء الأزمة تأخذ مجراها الفعلي في سياسة الشباب التي باتت مُقنعة للعودة بالإنسان إلى:

- **إنسانيته**، أثناء المطالبة بأحقيته في خلق منابر لتحقيق الذات، والأهم من ذلك الشعور بالهوية وبالمواطنة بترسيخ لمعنى الحق والواجب..
- **لا إنسانيته**، إنّ الشعور الذي يعيشه الشباب دوماً، يجعله غير مستقرّ نفسياً واجتماعيا وهو الفعل الذي سيؤثر سلباً على تحقيق معنى الاندماج مع المختلف عنه أو حتى داخل القطر الواحد، ما يؤذي فعلياً إلى الانغماس في التطرف واللاوعي والإرهاب ويصبح أداة غيره يمثلُ بها على وطنه كيفما شاء ومتى شاء، هي القوة اللاواعية التي تسمح بإنتاج كائنٌ جديدٌ، مُشَكَّلٌ من الترسبات التاريخية المرضية، وممارسته للفعل السلبي كان بدافع تغيير الوضع بالانقلاب دون وعي بمتكآت الإصلاح والانقلاب والكيفية لفهم للتغيير.

إنّ اكتشاف الانقلاب الذي ظلّ ينشده الشباب العربي في وطنه، قد ارتبط بالتغيُّر الراهني لطبيعة سياسة النظام، لكونه فقد الثقة المؤقتة لعمل وعي المجتمع المدني، حيث من هذه اللحظة التي سبقت الانقلاب بالتغيُّر الاجتماعي، بدأ يُمارس لمعنى الأزمة التي بدأت حدّتها مع علاقته ببعض التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية وحتى المتطرفة منها، صار فيها فاقدٌ لمعنى الانتماء والهوية، فكان احتواءه من داخل المؤسسات مصيرياً، حينذاك صار الشباب أداة السياسة، فبدأ عمله بالتحرُّر يتقهقر في وضعٍ حقيقي ليس له فيها وضعٌ حقيقي من صُنعٍ للقرار وفرض الذات إلاّ لاحقاً من خلال هاجس الانقلاب والتغيُّر، ومن هنا تشكلّت أزمة الانتماء والهوية انتهت به إلى الاستلاب، حيث دلالة الأمل (L'espoir) في فلسفة التغيير، وقناعات بأنّ الحدث الذي ينشده هؤلاء الشباب هو الشغل الشاغل للتبذُّل الراهني من وضعٍ أسوء ومأسوي إلى وضعٍ أسوء بكثير.

2- كيف نفهم الأمل.

تُبيّن الأحداث التي جرت في الدول العربية ولازالت تتأجّج، الدور الاستثماري الوظيفي غير الممارس بشكل كلي لفئة الشباب في الاستفادة من هذه الأحداث ومعالجتها إيجابياً، فالشباب اليوم يغرق داخل ترسبات تاريخية كالطائفية والإقليمية والمحلية، حيث تأثره بالزمان والمكان الذي يوجد بداخله، كان تأثراً سلبياً، لكنه يمثل من جهة أخرى فعل- وردّ

الفعل (Action- Réaction)، فيطرح الشباب مشروع فيه أمل هو اليقظة في ظل الأحداث التي تمرّ بها الدول العربية بالتغيير(3).

تحتاج هذه المرحلة من الانقلاب والتغيُّر إلى تشريح تفصيلي لكل مجريات هذه الثورة، حيث الانتقال من الاشتراكية إلى الرأسمالية قد مثَّل مسافة بينهما لم يتم بشكل واعي تحليل هذه المسافة وما هي الأحداث التي أثرت في الشباب حتى فهم مرحلة الانتقال إلى فرض خطاب آخر غير الخطاب الشمولي، عندئذٍ: « **فالاشتراكية اللاقومية لم تفهم حاجات المرحلة** »(4) حيث كل الأعمال التي تقوم بها الحركات والأحزاب والتكتلات هي في أساسها خاضعة للظروف الراهنة، وهنا تظهر فكرة الانقلاب بقوة، كونه ينشد على الدوام إصلاح الأوضاع، لا أن نُجاري هذا الواقع.

تُوجِّه الأحداث الراهنة رسالةً إلى الشباب، هي أننا في قلب الأوضاع. ماذا نفعل؟

- يجب أن يكون سلوك الحركة الشبابية مُنسجماً مع مبادئها كون الانقلاب هو التحرُّر من القيّم المألوفة الشائعة المنسجمة مع الأوضاع التي تُغذيها.
- يرتبط مفهوم الشباب في ظهوره بالثورة وبالانقلاب على غير المألوف من الأحداث (الفساد بمختلف أشكاله) حيث ارتباطه كان بممارسة نشاطه الإصلاحي (الانقلاب)، وهو هاجس تشكّل انطلاقا من الترسبات التاريخية والاجتماعية للراهن.

ولكن إذا نظرنا إلى المؤسسات التي ترعى هواجسه بالتغيير للوضع الراهني، وتشكيل قاعدة تهتم باحتياجاته وقدراته كنشاط دائم وفعلي صار غير اعتيادي، ما جعل من الطاقة الشبابية للانبعاث غير مأخوذاً بها للتغيير، وإن كان البعث الشبابي نشيطاً خلال فترة الوصاية والاستعمار وكل أشكال التدخل الأجنبي، لكن هذا النشاط لم يكن إلاّ في مصلحة نظام الحكم، ما جعل من استفحال الترسبات تزداد نتيجة عدم مراعاة للانقلاب الذي كان ينشده شباب الثورة.

على مرِّ التاريخ القديم والحديث، ارتبط نشاطهم بالاستلاب، وازداد شدّةً أثناء الحكم الواحد الشمولي، « **واقتصر رعاية الشباب على ملء الفراغ من خلال تكملته بالنشاطات** »(5) والأعمال دون النظر إلى عملية توعيته قومياً من خلال استثمار فكرة الانبعاث، التي طالما ناشدها الشباب، وأنّ كل العمليات التي فيها نشاطه تأسّست من قبل المؤسسة على تلافي إقصائه، خصوصاً بعد الخطاب النشط الذي فرضه الشباب، لإبلاغ رسالة مقدّسة إلى الجهات الرسمية، بأنّه آن وقت الحديث عن تاريخ جديد يكون فيه الشباب هو صاحب التفكير والانقلاب، لبدأ مرحلة جديدة، هي المشاركة السياسية في صنع قراره وقرار الجماهير، وهذا الوعي باعتقادنا لا يتسنى له أن يتحقّق إلاّ عندما يبلغ الشباب طاقةً من الوعي يُحدِّد فيها مصيره. وهنا تظهر في الآن نفسه مرحلة أخرى هي الاستقلالية (عدم الانتماء) عن القوى التي تحكمت في مصيره لعقودٍ مضت.

إنّ إعداد النشء ليقوم بدوره في بناء المجتمع موضوع هام، إذْ أنّ الدولة ينتظرها شغل كبير بالموازاة هو رعاية الشباب من خلال استثمار نشاطهم الفكري وتوجهاتهم لصالح توظيفها إيجابياً لخدمة المجتمع ولتجاوز عنهم عبودية الاستلاب والفراغ المعنوي الناتج عن التحكم الرأسمال المادي للمؤسسات غير القومية (المستغلة). ما يسعى إليه الشباب اليوم في ثوراته هل تمثل مطالب أم ثورة ؟

3- احتياجات الشباب:

يسعى الشباب باستمرار إلى تحقيق ضروريات جدّ هامة منها:

- الشعور بالانتماء إلى المؤسسة الاجتماعية، وهذا من خلال مشاركته في تنمية المجتمع الناتجة عن المكانة التي يتمتع بها.
- تحسيس الشباب بدوره الفعَّال اجتماعيا، وهذا بتمكينه من : « **معاملته كقطاع مسئول عن بناء المجتمع وتقدمه، وباعتبارهم فئة ذات قيمة مطلقة وأن يشعر الشباب بأنّه قادر على العمل والنجاح** »(6). فالشباب طاقة فعالة، قادرةٌ على الإنتاج، فيكتسب من خلالها تجارب يساهم فيها اجتماعيا، وحيث هذه الطاقة هي في حيوية ونشاط يقظ، فإنّه يتوجب على المجتمع توجيه هذا النشاط الانفعالي والإيجابي إلى مصلحة الجماهير بما يعود على المجتمع بكليته بالإيجاب، وهنا يمكن أن نتلافى الاستلاب بتوجيهه والاستفادة منه كطاقة إنسانية، فيتحقق عندئذٍ معنى الانتماء، لذلك تقترح الباحثة / سلوى عثمان الصديقي وآخرون/ من الكتاب نفسه(7) أنّه بات الاهتمام بتفعيل دور الشباب في بناء المجتمع من خلال.
  - خلق جوٌّ من الثقة بين المواطنين.
  - بذل الجهود لفض الخلافات.
  - إعادة النظر في برامج الخدمة العامة بحيث يشارك الشباب في المشروعات القومية.

والأهم من ذلك، رَبْطُ الشباب بالتوجيه والإرشاد، أي التكفل الأحسن تربوياً بتحميل الشباب مسؤوليات البناء من خلال عامل القيادة كضرورية اجتماعية تساعده على مراعاة الآخرين، ومسؤولياتهم واحتياجاتهم والمطلوب منهم اجتماعيا، كل هذا تسعى المؤسسات القومية إلى تأسيس هذه الاحتياجات لبناء إنسان متزن أمام مجتمعه وأمام مسؤولية نفسه، وهذا لتحاشي المشكلات التي يعيشها الشباب دوماً.. فبالإمكان أن نتحدث على أنّ جلّ الأعمال والأنشطة التي يؤسسها الشباب ويمارسونها باسم الثورة على الراهن، غالباً ما تعقبها أعمال عنف تنعكس على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، ما يؤذي إلى تغير جذري في البُنى الاجتماعية نتيجة الثورة.

4- الثورة والشباب.

إنّ التغيير المستمرّ للعلاقات الاجتماعية، هي في أساسها نتيجة الانقلاب على الوضع الراهن والمتردي، فتأتي بمثابة: « **واقعة اجتماعية شاملة (...) وهي تشمل جميع ميادين الثقافة، وينشأ وضعٌ ثوري عندما يتم إعداد حلول أو تحديدها تماماً، لتحل محل الحلول السابقة** »(8) من خلال تبني إيديولوجيا بديلة يتم بها قراءة الانتقال من وضعيةٍ إلى وضعيةٍ أخرى يسعى من خلالها عنصر الشباب إلى خلق تغيير نحو الأحسن، ومن : « أهم أسباب قدرة الحراك الشبابي على الحشد هو تخففه من الإيديولوجيا وتقديم المشترك الإنساني والحقوقي كهوية لهذا الحراك، ومن هنا تمكَّن هذا الحراك من حشد الجماهير والأحزاب الإيديولوجية المعارضة خلفه.. »(9)، ومن جملة هواجس الشباب **الأمل**، هو انتقاد الأنماط الثقافية والسياسية.. لتصبح الثورة تحريراً للخلق الشخصي وبعثاً للمبادرات في وجه الأفق المسدود، وسلطة الضغط السياسية، كل هذه تدفع بالشباب باستلهام الروح اليقظة للتغيير من وضعٍ أسوء ومتردي إلى وضعٍ عساه يتحسّن مع السياسات والثقافات الجديدة، وأثناء هذه العملية يبقى الشباب هو الذي يُدير ديناميكية الفعل الثوري إلى واقع يشعر فيه بالانتماء بعد معايشته كل أشكال الاستلاب وعدم الانتماء، فمفهوم المواطنة (citizenship) صار الشغل الشاغل للشباب أثناء منادته بالتغيير وبظروفٍ جيدة لشروط شبكة العلاقات الاجتماعية.

لقد نما جزءٌ كبير من هواجس الشباب أثناء المعاناة النفسية-الاجتماعية وسط الفساد بكل أنواعه من المؤسسة خصوصاً، جعل من الشباب ينفصم عن كيانه، ليكون ملكاً لذاته وللمعاناة وهذا هو الاستلاب الخطير، وهو نفس الاستلاب الذي كان نتاج المؤسسة الاجتماعية، فصار الشباب في شبكات اجتماعية تظهر في فعل الانتشار. وازداد هذا النفاق على الثورة عندما بلغ الوعي بالانتقال بالإيديولوجيا إلى مرحلة التصحيح بفرض نسق فكري كان ضحيته أولا وقبل

كل شيء الثورة والتغيير والانتشار وهاجس بغدٍ أفضل، « فلا نخفي بأن ترسبات الثورة بدأت من التهميش والإقصاء وتشكلت في رحم الدعوة إلى الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، إلى أن مثلت هاجس بدأ صداه يعلو لتحقيق الانتماء، حيث الاستلاب الذي وُلِد في داخل النظام طرح معنى الفعل / رد الفعل... ولتحقيق هذا المكسب لا بدَّ من تجاوُز عقبة الملكية اللامتناهية »(10).

5- الانتشار.

يبرز عمل الانتشار داخل الجماعات الاجتماعية بمختلف الأعمار، وخصوصاً لدى الشباب بقوة كثقافة تبدأ بالعمل داخل جماعات صغيرة وتعمَّم في ظرفٍ وجيز لقناعات وأفكار يؤمن بها الشباب كمفتاح للتغيير، وهنا تسري الثورة في انتشارها بالانقلاب من خلال:

- التجديد والاستمرارية.
- الانتقال بالثورة إلى ممارستها بفعل الانتشار من خلال قنوات معينة للحوار.
- انتشارها في نسق اجتماعي.

وهذا العمل ضمن الجماعات الواحدة ومع الآخرين، هو ما يصطلح عليه باللفظ الفرنسي (Compatriote) وهو بخلاف المواطن والمواطنة الذي لا يدين بالولاء لا للقبيلة ولا للطائفة ولا حتى للأسرة ولا لحكم على رأسه فرد عادل أو غير عادل، كما أنّها ليست مجرد الانتماء إلى وطن أو الاشتراك في الوطن، بل هي كل الشروط الطبيعية والقانونية للفرد، وهذا هاجس الشباب ومشكلاته.

ولتأصيل مبدأ المواطنة على مستوى الشباب في الفكر العربي وإشكالياته، نُشيرُ إلى الأزمة التي تعيشها المواطنة من خلال التراكمات التاريخية، والسوسيو- ثقافية، نظراً لغياب: « **تحقيق ضمان حماية قانونية واجتماعية لمواطنها، دفع إلى انتشار الإحباط والانهزامية لدى شريحة عريضة من المواطنين** »(11) وعلى رأسهم الشباب، ما دفعهم إلى كتابة تاريخ جديد يبدأ من الآن نتيجة تأثرهم بأحداث كبرى كالظلم والاستبداد والإقصاء والتهميش والتطرّف والإرهاب والاستئثار بالسلطة والشمولية في الحكم، فكانت المحاربة في شكل أفراد أو جماعات سياسية وفكرية، وبوسائل مختلفة، ما تطلّب تحوُّلات اجتماعية على جميع الأصعدة، فتراكم التجارب والأحداث عملت في الأخير على إحداث ارتجاج في البُنى التفكيرية للمجتمع لانتشار أكثر بالانقلاب وللإيمان بإيديولوجيا تغييرية. وفي ظل هذا الوضع المُتشنّج، كان الانقلاب(الإصلاح) كمرجع لحلّ الإشكاليات العالقة ولممارسة قانونية لمعنى المواطنة أو قد نرى لدى بعض الشباب منهم: « **الملامح السلوكية التي تجمع ببعض الشباب إلى طريق الاندفاع والثورة والرفض والتبرم والاعتراض** »(12) كما أنّ هذه الطاقة الشبابية بإمكانها أن تخسر الحيوية التي تعيشها على الدوام بتمثيلها لهاجس التعبير والتغيير من خلال تجسيدها لمبدأ الانقلاب، إذا هي لم ترع استثمار كل هذه الإمكانيات والطاقات وظلّت همساً، أو في صورة من صور السلوك الإنحرافي. لذا، أحسن وسيلة للتعاون مع هذه الطاقات حتى لا تذهب هدراً:« **يتحدَّد من خلال الاستماع إلى شكواهم ومطالبهم ومحاولة التعرُّف على وجهة نظرهم وتوظيف طاقاتهم** »(13) وانطلاقا من افتقار عنصر الشباب إلى وجود قنوات للاتصال الحقيقية، تنشأ أزمة التعبير الناتجة إما عن الصمت أو التطرُّف، وكلاهما شرٌّ، وهذا لأنّ المجتمع العربي- الإسلامي، هو مجتمع سلطة قاهرة وآمرة، لا يفتح قنوات للاستماع والمقابلة فتنشأ المشكلات النفسية- الاجتماعية، وبالتالي يُصبح المجتمع كله مُزمِن، فهو لا يتعامل بواسطة أدوات سلطة بديلة عن التي اعتاد ممارستها فيمارس معنى السلطة الرعوية)

(Le Pouvoir Pastoral والمتجلية في سياسة التهميش والقمع والمعاملة المعنوية السيئة التي فيها تنقيصٌ بالشباب، عندئذٍ تتحدَّد قضية أزمة التعبير، فينشأ عن هذا الميكانيزم شكلين هما:

- **مباشر** وهو يعتمد على المصارحة في التواصل في التعبير لكنه يبقى قاصراً، لأنه لا يأخذ بعين الاعتبار مضمون العلاقات.
- **غير المباشر** يعتمد هو كذلك على أسلوب رمزي، وهذا الشكل بدوره نتاج أزمة تمخضت عن سوء العلاقات بين المحاوِر والمحاوَر.. لكن بالرغم من الأزمة التي تعصف بالشباب نتيجة السلطة، إلاّ أنّ هذه الأخيرة لا تترك له مجالاً للتطلُّع إلى الشعور بالانتماء، ما يجعله دوماً واقعٌ داخل الاستلاب، فالشباب مجرد مفهوم يُتداول باستمرار من قبل الوعي المدني دون أن يُحدّد لهذا التداول معنى واضح يُعيدُ للشباب مرجعيته في التعبير والتغيير، فهو يسعى حثيثاً إلى إحداث انقلاب شامل ليكون التداول هو جوهر تفكير وقناعة هؤلاء في الحياة وفي المجتمع.

إذن، يعيش الشباب اختلالا في شعورهم بمصير مُهدّد كل حين، لأنّ هناك مَنْ يُحركه كالدُمى من بعيد، فهو لا يملك حريته ولا مصيره إزاء ما يحدث من وقائع ومشاكل، فينغمس فيها من خلال الآخر بدون أن يكون له فيها رأيٌ ولا انقلاب خصوصاً إذا ترك نفسه لغيره (الاستلاب وعدم الانتماء).

وفي ظلّ الحراك الشبابي في العالم، لابد من التعامل مع هذا الجوهر كمسيِّر وكمحرِّك وموجد للحدث، بإتاحة الفرص لإبداء الرأي علناً ولأداء الأدوار الاجتماعية وتمكينهم من قناعة التداول.

تُثير الدافعية للانقلاب لدى بعض الشباب كل أنواع الأزمة التي تُسبب تحرُّك نحو الإيجاب، فهي تجمع لعملية الانتقال ومن تم التجاوز لفهم ديناميكية العملية التي يتحرك من خلالها الشباب، حيث التوتر هو شعور بالإيجاب نحو فهم إدراك العالم الخارجي للوقوف على المشاكل التي تسبب هذا الجمود في التبدل من حالةٍ إلى أخرى، عندئذٍ يشعر الشباب بضرورة الانقلاب (الإصلاح) والقضاء على الاستلاب وعدم الانتماء.

لقد برهنت الوقائع الأخيرة التي قادها الشباب في الربيع العربي إلى تأكيد الذات (Self actualization) ، حيث الأفكار الإيديولوجية التي تبناها هؤلاء وعملوا على استثمارها بينّت تألقهم إلى التغلب على ظاهرة الحياد وعدم الانتماء والانتقال إلى تحديد المصير إلى صُنع مصير أخر أقرب إلى الوثوقية (Dogmatisme) وإلى الخيانة للمبادئ والهدم الاجتماعي والنفسي جرّاء بيع منجزات الثورة لإيديولوجيا جديدة سعى مُروِّجوها منذ إعلانها غلى رفض حتى المنقلبين على إيديولوجية النظام الفاسد، وهنا يتبلوَّر معنى الفساد النسقي للسلطة والانتقال بالثورة من الفساد إلى فساد أكبر يقع ضحيته عنصر الشباب وتتحوّل الثورة من ربيعٍ إلى شوكٍ، لكن دائما الأمل في غدٍ أفضل متاح لكن بامتلاك آليات جديدة أكثر نجاعةً للانتقال والتغيير.. من خلال رفضه للسلطة القائمة بمحاولة القبول بمبدأ التشاركية بسلطةٍ أخرى مبنيّةٌ على الجماعية وعلى رفض إيديولوجيا النسق الواحد في الحكم، وهذا مثلبٌ من المثالب التي تُسبِّبُ التقويض للمؤسسات المجتمعية مثل ما هو موجود في سوريا وليبيا واليمن، وبات الشباب يُمثلون قناعةً للانقلاب وقوام هذا التوظيف هو:« **الانفتاح على شتى التجارب الواعية المعتمدة على القيم الدينية والأصول والأعراف الاجتماعية** »(14) وهذا ما يُتيح:

- المساهمة في تناول المشكلات بوعي تام وعزمٍ بالتغيير.
- النظر إلى الانقلاب كمخرج من الأزمة.
- اعتبار الأزمة تفكيرٌ لواقع مُعاش يحتاج إلى إعادة النظر.

- وإنّه لمن المؤكد أن نُشير أنّ مشكلات الشباب هي تعبيرٌ: « **عن واقع موضوعي لا يوفر فُرصاً كافية للإرضاء العضوي والنفسي والاجتماعي ومواجهة مطالب للحياة المتجددة، ويضع الشباب من تَم، في أزمة** »(15) نتيجة التوزيع غير العادل في الأدوار الاجتماعية وتحديد الهوية ومحاولة إشراك الشباب في عملية التحوُّل والانتقال من وضعٍ إلى وضعٍ على الأقل أحسن منه، وهذا على غرار مشكلات الشباب وتمرداته في ضوء التراكمات التاريخية والأسباب الواقعية التي مرّت بها مجتمعاتهم، ومن جهة أخرى الظروف الموضوعية التي يعيشون فيها.

لطالما كان الاعتراف مع الذات فلسفةً خاصة ومسارا للتصالح النفسي ثم الاجتماعي بتبني للمبادئ العليا للثورة، فكان تحديد للاعتراف ماذا نريد من الفعل الثوري كرد فعل على الثورة التي مثلها الأشخاص الذين حملوا إيديولوجيا شعبوية ؟ جاءت هذه الأسئلة تعبيرا عن تمثيل ل: « هواجس من ماضٍ أليم وخائن، ومن حاضر لم ندرك بعد لماذا نحن مشدودون إلى كل هذا الإغراء.. »(16).

لقد أشارنا إلى دلالة الاغتراب (Aliénation) من خلال أنّ الشباب العربي لم يصل إلى فهم عميق لنفسه إلاّ لاحقاً، لهذا جاء التخطيط لحياته ومستقبله ناقصاً، فكانت مشاركته في صنع مصير المجتمع متأخراً، وهذا نتاج: « **أنّ ما يخلق عائقا أمام الشباب هو الرشوة والبيروقراطية والفساد..** »(17) وإذا كان من تحميل المسؤولية لتبعة الفعل عن مشكلات الشباب، هو طرح الواقع الاجتماعي على المحك، للكشف عن أسباب القصور والتقهقر لجيل الشباب واستفحال لمشكلاته.

فنحن نركز على هذه المرحلة العمرية من جيل الشباب باعتبارها نقطة **تحوُّل** في خلق ارتجاج في فهم الواقع المُعاش (L'expérience Vécu) من جيل الشباب وجيل الكبار مع التركيز على فهم المرحلة الأولى بعمق: « **إننا لا نريد أن نكون عيالاً، إننا نحيا..أن نعمل..أن نثبت وجودنا.. لماذا تضيعون منا زهرة العمروقد أغلقتم علينا تلك السجون التي أطلقتم عليها خطأ: اسم المدارس والكليات، وقد جعلتم حولها سورّاً أضخم من سور الصين العظيم يَحُول بيننا وبين المشاركة في** الحياة العملية. إننا **متفرجون على الحياة، ولسنا مساهمين في صنع الحياة** »(18)، حيث مفهوم الشباب كان يُراد به التصغير أمام الغير وتنقيصٌ في حقه في الحياة والتغيير، فيشير إلى معنى الهامشية كصفة سلبية أُريد بها شراً وأنّ العجز في جيل الشباب هو ناتج عن الضعف في حمل بالانقلاب أن يكون سيد الموقف.

يريد منا المجتمع أن نعيش رهبانيين أو يصفنا بالمروق فقط لأننا كشباب نريد أن يكون لنا موضعاً نُحدده بأنفسنا ولا يُحدّد لنا، لهذا أُصيب جيل الشباب بالفتور نتيجة اليأس وفقدْ الأمل بالتغيير في مستقبل يكون فيه المجتمع في رخاء وشعوراً بالانتماء بالمواطنة لا بالوطن. فالشباب تؤهله الدوافع اليقظة إلى أن يكون منتجاً ومعطاءاً في مجتمعه، كلما أمكن أن يُبقي هذه المؤهلات والطاقات حيّة: « **فإذا أضفنا إلى سن الشباب صفة الثقافة والوعي إهتدينا إلى الشرطين الأساسيين اللذين لا غنى عنهما لحركة الإنقاذ والخلاص: شرط الوعي والثقافة، وشرط الشباب** »(19).

6- مؤامرة على الشباب.

عندئذٍ يتم إحداث شقوق بين تركيبة المجتمع والنخبة المثقفة فـ :« **يفقد المجتمع توازنه العقلي ورشده عندما تتدهوَّر العلاقات بين الهيئة العالمة والجمهور، إما بسبب ارتباط الهيئة العالمة بمسائل تتحدّد خارج المجتمع الذي يعيش فيه، أو بسبب انعدام وسائل الاتصال، بما في ذلك غياب حرية التعبير** »(20)، وهذا الشغور في الفضاء تكوَّن نتيجة عدم وجود الثقة بين الشاب نفسه والناتجة عن فقدانه لمنظومة المعايير والقيم المشتركة، فتنعكس على الشاب، آنذاك تنتج المشكلات الشبابية الملء بالإحباط وكراهية الذات فيتحوّل هذا الفعل إلى صراع لا

حدود ولا آفاق له، وهذا نتيجة تغلغل المندسون بمشاركة قوى خارجية وحتى داخلية لإجهاض الفعل الثوري وممارسة الخناق عليها، حيث وجود الأحداث المتقلبة التي يعيشها الشباب تجعله يُدرِك أنه موجود خارج الإحداثيات المكانية والزمانية ويعجز فعلاً : « **أن يُحدِّد مكانه فعلا في التاريخ، كما يعجز عن تحديد عن ما يريده وما يطلبه وما يشرط أفعاله، ويفقد من ثم الرؤية والمبادرة معاً** »(21) فتجعله يستسلم للدوافع الانفعالية القديمة ولردود الأفعال الخارجية غير المنتجة.

يعيش الشباب – أزمة- بدأت حدّتها مع علاقته ببعض التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ليخدمها، ولتشملهم كشباب فاقدٌ لمعنى الانتماء والهوية، « **فتعلُّق الشباب العربي عموما والجزائري خصوصا برموز وعلامات غربية كوضعٍ لرسومات أو حتى رمز العلم الذي يُعبِّر عن سيادة الدولة الأجنبية هو نتاج انسلاخه عن هويته..** »(22)، لأنّ وجوده داخل هذه المؤسسات هو أن يعيش فيها وبداخلها، لا أن يستمتع بذاته وبعمله وبتطلعاته، فعلاقة الشباب بوجودهم الإنتمائي لم تتحقّق يوماً، لأنّ- الانقلاب والتغيُّر- كانا في نظرهم غير راهنين، حدث هذا إثر عملية التصدع النفسي- الاجتماعي الذي عاشا فيهما هؤلاء، بدون امتحان إلى أن بدأت الأزمة تأخذ مجراها الفعلي في سياسة الشباب التي باتت مُقنعةً للعودة بالإنسان إلى إنسانيته.

النتائج.

ومن خلال شروده بين الداخل (المشكلات) والخارج (الفساد) تتجاذب الشباب مشكلة الاستلاب في ظلّ عدم الاندماج مع المشكلات الاجتماعية والحياتية، فيستفيد منها لإنتاج تاريخ آخر يعبر عن مصير جديد يبدأ من كتابته من اللحظة التي يواجه بها تفكيره، وحيث الانتقال من جمود القيم والمعايير التي عبَّرت هي الأخرى في مرحلةٍ ما عن الفعل- وردّ الفعل ضد الخارج، تظهر الآن مشكلات هي افتراض حقيقة ملموسة هي خطاب الهوية، هي كثافة ثقافية ينشدها الشباب لتغيير وضعه مع نفسه ومع الآخرين. وسط هذا الكم الهائل من المتناقضات، يسعى الشباب إلى خلف إطارا راهنيا لإعادة تفكير الثقافة التي غيَّبته في مرحلة ما، أثناء وعيه بأنّ الصراع الذي كان يهدِّدُ مصيره، كان بفعل تقاعسه لعدم فهمه كيفيات حلّ الصراع والتعامل معه بتقنيات اندماجية لعله يستطيع خلقْ فسحةً لفهم معنى المؤامرة وعدم الإنتماء..

المصادروالمراجع.

1- صُبحي، سيد،(يناير 2002). **الشباب.. وأزمة التعبير**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، ص 17.
2- عفلق، ميشال،(ب ت). **في سبيل البعث، الكتابات السياسية الكاملة**، الجزء الأول، بدون دار النشر، د:(ط)، ص 28.
3- عفلق، ميشال، المصدر السابق، ص 37.
4- عفلق، ميشال، المصدر نفسه، ص 35.
5- عثمان الصديقي سلوى وآخرون،(2002). **منهاج الخدمة الاجتماعية في المجال المدرسي ورعاية الشباب**، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، د:(ط)، ص 370.
6- عثمان الصديقي سلوى وآخرون، المرجع السابق، ص 379.
7- أنظر أكثر:
عثمان الصديقي سلوى وآخرون، المرجع نفسه، ص393.
8- الخولي، سناء،(2006). **التغيُّرالاجتماعي والتحديث**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د: (ط)، ص 72.

9- جبر الكوارى، كلثم وسلطان المناعي، صلاح،(2013). رعاية الشباب في المجتمع العربي(أسس وتطبيقات)، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، د: (ط)، ص 250.
10- رايس، زواوي،(جانفي 2015). " هاجس االيساريين في الفكر العربي"، مجلة أبعاد، مخبر الأبعاد القيميّة للتحوّلات الفكرية والسياسية بالجزائر- العدد 02، جامعة وهران2، ص 41.
11- أنظر.
شريف، سعيدة، (أفريل 2010). **مفهوم المواطنة في الفكر العربي الإسلامي**، كتاب لعبد الجليل أبو المجد.على موقع غوغل http://www.maghress.com، المواطنة.
12- صبحي، سيد، المرجع الأسبق، ص 06.
13- صبحي، سيد، المرجع نفسه، ص 07.
14- صبحي، سيد، المرجع السابق، ص 70.
15- حجازي، عزت،(يناير 1985). **الشباب العربي ومشكلاته**، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- العدد 06، الكويت، ص 12.
16- رايس، زواوي،(جانفي 2015). " هاجس االيساريين في الفكر العربي"، مجلة أبعاد، مخبر الأبعاد والقيميّة للتحوّلات الفكرية السياسية بالجزائر- العدد 02، جامعة وهران2، ص 38.
17- محمد بومخلوف وآخرون،(2012). **الشباب الجزائري واقع وتحديات**، جامعة الجزائر 2، مطبعة الملكية، مخبر الوقاية والأرغنوميا، ص ص 293- 294.
18- أسعد، يوسف ميخائيل،(2001). **الشباب والتوتر النفسي**، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، د: (ط)، ص 05.
19- غليون، برهان،(1986). **مجتمع النخبة**، بيروت، معهد الإنماء القومي، ط1، ص 28.
20- غليون، برهان. المصدر نفسه، ص ص 222- 223.
21- غليون، برهان،(1992). **الوعي الذاتي**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، ص 21.
22- بلغيث، سلطان،(27- 28 أكتوبر 2010). **تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي حول: الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو- ثقافية في المجتمع الجزائري ، جامعة ورقلة، ص ص 353- 354.